قد لاتدرك أهمية الجمال الذي يتوارى خلف جبال البُريقة- لأننا لانعرف قيمة الشواطئ والخلجان التي تمتد على طول الطريق من البُريقة حتى شاطئ رأس عمران البديع، وجزيرة عزيز جزيرة الأمل والحب.. ناهيك عن امتداد الطريق على البحر الأحمر حتى المخاء مروراً بخور العميرة، ورأس العارة،وباب المندب..

ومن لم يزر تلك الشواطئ فهو معذور لأنه لم ير الجمال... لكن الزائر لها يدرك يقيناً أن سحراً ما يفتح نافورة القلب ليمنح البشر دفء الحب.. في هذا الاستطلاع نفتش معاً في شواطئ المكان الممتع، والفضاء المفتوح لإرواقة الماء ، والرمل فتعالوا لنرحل سوياً..

الطريق من البــريقــة إلى رأس عــمــران

شواطئ جميلة وجزر لتربية السلاحف

-جـزيرة عــزيز أنموذجـاً-

عدن/استطلاع/عبدالناصر الهلالي

● الوالد محمد حيدر الذي عاد للتو من مدينة البُريقة اعتلى عشته الخشبية.. ووقف باتجاه القبلة لأداء صلاة العصر..

كانت الساعة تشير الى الرابعة عصراً.. الباص الذي أقلنا من فقم ممتلئ قبل أن يسير باتجاه رأس عمران.. لكن الوالد محمد أصر على أن يكون أحد الركاب حتى وإن كان زائداً عن سعة الباص.. لا وقت لديه للإنتظار حتى إمتلاء الباص الثاني..

وبعدها لقى احتراماً كبيراً من قبل السائق والركاب... أحمد ترك كرسي مقدمة الباص.. وقعد بجانبي.. كان الصمت وحده من يدخلني في تفاصيل البحر، وتلافيف الغروب الصفراء.. الشغف لمعرفة المكان رفيق الرحلة في باصات الأجرة..

● لم أكترث للاحترام الذي قوبل به الوالد محمد غير أني مضيت أسمع حوار السائق معه وكانت اجابته مقتضبة أنا شيخ رأس عمران.. نعم عمري مائة وستة وعشرين عاماً.. تزوجت العام الماضي ومضى يردد أبياتاً للشاعر القمندان:

أبوسعدان باكيل بالكيلة ويوفي ربوعه يارحنا كل حدان

ألا قال أبوسعدان من ساير السعدة سعد والشقي ياخذ من الكوز فنجان

ألا قال أبوسعدان ياخيل بالشقعة ترد المعنى ماتخرج إلا على شأن

ألا قال أبوسعدان ماشي خطى يامن تهدأ لمصونة سفرجل ورمان

وأبوسعدان هو الشيخ محمد حيدر وكأنه يؤكد من ذلك صدقية كلامه من بلوغه ذلك السن المتأخر من العمر رغم صحة بدنه وقوة ساعديه.

● الشيخ محمد تزوج قبل عام بامرأة في الاربعين من العمر... وهي المرأة الثالثة في قاموس حياته، حديثه جذب انتباهي فسألت السائق- عن الرجل، وجاء رده سريعاً بأن الشيخ هو عاقل منطقة رأس عمران.

كنت محظوظاً كثيراً وأدركت أن الصدفة تخدم المرء عند عزمه على عمل شيء ما... حينها أخبرت الشيخ بمقصدي فرحب كثيراً بذلك وراح يشكر الرئيس علي عبدالله صالح الذي بفضله تعبدت الطريق الى منطقته على حد قوله.. بعد أن تجاوزنا قرية عمران التي اعتاد سكانها على اصطياد الوزق، وتجفيفه.. هذه القرية لاتختلف كثيراً عن القرى الساحلية مثل رأس العارة، وخور العميرة من حيث البساطة، والمساكن المصنوعة من الخشب بشكلها المزدوج.

عمران

قرية عمران تقع على امتداد الساحل الى الغرب من عدن تحتويه مجموعة من الخلجان ذات الشواطئ الرملية مما جعلها تقدم موقعاً مثالياً.. للتطوير.. في هذه القرية فقط يمكن الاستغلال سياحياً بأقل كلفة لاسيما وأن الخدمات... الكهرباء، والمياه متوفرة، والطريق معبدة ولايواجه الزائر كثيراً من العناء.. لأن الـ٤٥ دقيقة كفيلة بايصاله الى المكان الطبيعي.. السلسلة الجبلية المواجهة للبحر.. هي العلامة الفارقة بين عمران، ورأس عمران، فقرية عمران تمتد باتجاه الغرب من عدن.. وكذا رأس عمران غير أن هذه الأخيرة يفصلها ذات الجبل.. وبموقعها وسط البحر.. تناهيك عن المنفذ الرملي الذي يقودك الى رأس عمران، ويدخلك في شرفة التأمل الممتدة الى باب المندب مخلفاً خور العميرة، ورأس العارة..

جزيرة عُزيز

خمس دقائق فقط من قرية عمران الى رأس عمران.. وجدت نفسي في قطعة فنية غير أن المكان للواقع أقرب.. قرية يسكنها ألف وخمسمائة نسمة تقريباً بحسب مصادر محلية تفصل الشاطئ عن البحر عشش خشبية، وكنتونات اسمنتية.. يختفي وراء الجبل شاطئ جزيرة عزيز.. السكان لم يتركوا متسعاً للشاطئ إذا ما تنفست مياه البحر.. فالقوارب، والعشش تكاد تكون قطعة واحدة على صفحة الماء.. يحتضنها الجبل ذو الرمل الأبيض.. كان جو ذلك اليوم على غير عادته الشمس متوارية خلف السحب البيضاء.. والهواء البارد وحده يداعب الوجنات السمراء.. والابتسامات تخفي وراءها طيبة القلب... لسكان الشاطئ.. والشيخ محمد عنوان البساطة.. فيما القوارب التقليدية الواقفة على الشاطئ تستعد لمخر عباب الماء.. قال ابراهيم الذي كان يخزن مع زملائه في عشتهم الخشبية بقى لنا ساعة سنبدأ رحلة المتعة والألم... رحلة البحث عن الأسماك وهو الدخل الوحيد بالإضافة الى تربية الأغنام الذي يعتمد عليه السكان...

■ جزيرة عزيز.

■ السقيفة على طول خط فقم - رأس عمران.

■ جانب من شاطئ رأس عمران.

مضيفاً: أن رحلتهم البحرية تستمر من الخامسة مساءً حتى الفجر..

الوقوف على الجبل المطل على الشاطئ من الشرق، وجزيرة عزيز من الغرب في ساعة الغروب كافية لنسج قصيدة الحياة دفعة واحدة.. جزيرة «عزيز» الوحيدة في تلك المنطقة، مكاناً حيوياً للسلاحف .. التي تخرج من البحر لتضع بيضها على الرمل الابيض، وتعود ثانية..

يذكر الأهالي أن السلاحف تظهر ليلاً ، ولكنها في حالة تناقص دائم.. كما أن الجزيرة في مواسم المطر تتحول الى مرتع للأغنام طول فترة الموسم.. إن الجزيرة تعد من أروع اماكن التنزه.. بشهادة الزوار، وكذا أبناء المنطقة الذين أكدوا أن مناخ المكان في اعتدال دائم طوال فترة الصيف..عندماكنت أقف على الجبل المطل على الجزيرة.. قال إبراهيم: الواقف بجانبي لو أتيت صباحاً لاصطحبناك الى الجزيرة.. لأن الوقت في المساء غير كاف للاستمتاع بالمنظر الطبيعي.. وقد اقترحت ورقة العَمل المقدمة من ورشة عمل الشراكة، في التخطيط، والتنفيذ للتنمية السياحية في ٢٠٠١م، إنشاء فندق في قرية عمران مكون من ستين غرفة يتمكن النزلاء من خلاله مشاهدة البحر... شريطة أن يشمل الفندق مرافق اضافية مثل اقامة رحلات قوارب صيد الى جزيرة عُزيز،وأضافت الورقة بأن القرية مزودة بالكهرباء، والماء، وكذا رأس عمران، ومصنع الثلج الواقع في مدخل رأس عمران بالاضافة الى أهمية وجود محول كهرباء آخر لكي يلبي حاجة الفندق المقترح في الورقة.. ومن هنا فإن الفرصة ستكون سانحة لاضاءة شوارع قرية عمران.

طريق جديدة

بعد التنقل بين المشاهد الفنية التي تأخذ من الواقع علامة الاستفهام استضافني الشيخ محمد وفاتحني الحديث قائلاً: إن الرئيس علي عبدالله صالح عند زيارته أمسك بيدي في سفح الجبل وقال لي: كيف حالك ورديت عليه:

أنت الحال بكله..

ووصولك الى المنطقة أشعرنا بالأمان وعلى كل نشكرك شكراً جزيلاً ولك في الارض لفت النظر اذا كانت تحتاج شيئاً.. محمد تنهد وأضاف: إن المواصلات كانت صعبة والله يخلي الرئيس من يوم أتى جاء الخير معه عند توصيله الخط من فقم الى رأس عمران في ظل التوجيهات التي صدرت بسفلتة وشق الطريق رأس عمران.. رأس العارة المخا..

بدائل تقليدية

الاصطياد التقليدي في رأس عمران ليس كغيره من الشواطئ الخاضعة للجمعيات السمكية، لم توجد جمعية سكنية لصيادي رأس عمران.. ولكن في صباح كل يوم يتم بيع الأسماك بالحراج المخصص لذلك بجوار مصنع الثلج.. كما أنه لا توجد ثلاجة كبيرة لحفظ الاسماك ربما لأن ذلك من اختصاصات الجمعيات السمكية.. مما حدا بالصيادين بامتلاك ثلاجات خاصة..

تعتمد في الأساس على الثلج.. يتم تعبئة هذه الثلاجات بالثلج كي لا تتعرض الأسماك للتلف.. مع أن القرية في العصر تختلي من الأسماك.. ومهمة الثلاجات تبدو محدودة أولاً لشحة الاسماك وثانياً لبيعه في الصباح هنا يظهر الفارق جلياً بين شاطئ رأس العارة الذي يعتمد صيادوه على التجليب مساءً... ربما لاتساع الشاطئ واداراه بالكثير من الاسماك بينما في رأس عمران.. يأتي الصيادون بحمولتهم صباحاً..

معاناة انتهت

● ما أرّق الصيادين في الفترات الماضية هي السفن الأجنبية التي كانت تعمل على الاصطياد بكميات كبيرة، ورمي غير المستحب لديها في البحر، وهذا يسبب مشكلة لدى الأسماك الحية التي ترفض العيش في الأماكن المُضرة بيئياً على حد قولهم..

هناك معضلة أخرى تواجه الأهالي ولاسيما الطلاب حيث أن المدرسة للتعليم الأساسي فقط، والثانوية في مدينة صلاح الدين البعيدة عن القرية بمقدار نصف ساعة بالسيارة ماعدا ذلك بحسب ماذكر من التقيت بهم بأنهم ألفوا العيش على الوضع..حتى صار كل حياتهم.. ومايخرجهم من المكان هو القات أو إذا جد طارئ..

تاريخ يتوارث المكان

قرية عمران ورأسها كانت في الماضي تابعة للسلطنة اللحجية حتى جاء الاتحاد الفيدرالي في الخمسينيات في أواخر حكم الاحتلال البريطاني لعدن انضمت قرية عمران لعدن.. بالرغم أنها بحسب ذكر الشيخ محمد ظلت بعيدة عن الاحتلال، وعم التأثير الذي أحدثه الاستعمار في حياتها اليومية.. الذي هي عليه اليوم وهو الأصطياد.. الشيخ محمد.. قال: إن سكان رأس عمران، كانوا قلة ولكن مع مضي السنوات تكاثر الناس بشكلٍ يتناسب وموقع المكان.

حالياً تتبع رأس عمران، وقرية عمران مديرية البُريقة واذا كانت البُريقة لم يحدث فيها أي تغيير بالرغم من أنها ظلت محط أنظار الانجليز بعد افتتاح قناة السويس.. خوفاً من الأتراك الذين جاءوا الى شمال اليمن في عام ١٨٨٢م ، وكذا من الفرنسيين الذين بدأوا ينافسونهم عند مدخل باب المندب قرب جزيرة الشيخ سعيد، وأبوح، والانجليز.

وبعد تشييد المصفاة ظلت البُريقة كما هي... إلا أن رأس عمران، وقرية عمران ظلت منذ فترة طويلة تاريخاً يتوارث المكان حتى يومنا الحالي...

شاطئ الحلم

قبل أن أودع المكان، ودعت الشيخ محمد حيدر باتجاه مدخل الشاطئ ومضيت على الجسر البحري الذي شُيد مؤخراً... من أجل ربط القوارب عليه.. كانت الساعة الخامسة.. والأشعة تغازل صفحة الماء.. لم يكن وداع رأس عمران هو الأخير لأن هناك شيئاً ما يشدني.. لا أدري ماهو.. ربما لأن السحر الذي تبدو به عروسة الشاطئ في المساء أكثر جاذبية للتأمل والغوص في تفاصيل الجسد.. وليس السحر أو الشخطاط الذي حدثني عنه الزملاء قبل الذهاب الى هناك... لأن هذا الأخير مجرد انطباع في أذهان المغفلين من البشر.. كما أن الطيبة التي يقابل بها الزائر كافية للانشداد مرات للعودة الى شاطئ الحلم، وجزيرة الأمل..

شاطئ فقم

ربما لأن طريق العودة تحفك على صفحة البحر ابتداءً من قرية عمران حتى شاطئ فقم.. قبل أن تغادر البُريقة بشواطئها الجميلة.. تأكيد السائق لي عند وصولنا رأس عمران بأن السيارات الأجرة لم تنقطع لم تكن موفقة.. الانتظار على حافة الشعاع طال لكنه وجد الحل بخروج سيارة وحيدة الى قرية عمران.. عند نقطة مشهور.. رأس العارة تحديداً.. هناك ارجعتني الذاكرة الى الخلف أربعة أشهر من زيارتي لرأس العارة تلك الزيارة التي حفرت لها

■ الشيخ/محمد حيدر
أكبر معمر في رأس عمران (١٢٦سنة)

مكاناً في ذاكرة الأيام..

من ذات النقطة اقلتني سيارة الأجرة الى فقم.. الواقعة على سفح الجبل على طول شاطئ الساقية البالغ اثنين كيلو من عمران حتى فقم- هذا الشاطئ محاد للجبل.. وتأخذ المنازل شكل سُلم حتى أعلى الجبل يتم في هذا الشاطئ مزاولة الاصطياد.. يأخذ الشاطئ شكل قوس بطول كيلومتر مربع..

هذا الشاطئ لايقل أهمية عن تلك الشواطئ الآنفة الذكر إذا أحسن استغلاله وعدم السماح للسكان برمي أكياس القمامة بالقرب منه.. مشاهدة الشاطئ من سفح جبل فقم كافية للاستمتاع بجمال الطبيعة التي رزقنا الله إياها.. وهي بحاجة الى النظر لها بعين الشفقة.. إن الكثير من زوار عدن لايغادرهم جمال المكان بمغادرتهم صالة المطار بالرغم من أنهم لم يتمكنوا من زيارة هذه الشواطئ الجميلة بحكم الطبيعة.. ولعل أهمية الطريق التي وجه الرئيس بسفلتتها كانت فاتحة الخير للاهتمام بالجانب السياحي اذا فهمت الجهات ذات العلاقة مغزى الأخ الرئيس وفي لقاء مع منصور زمام- مدير عام تطوير الموانئ سألته عن امكانية التطوير السياحي في تلك الشواطئ رد : بأن هناك خطة بيئية تم مراعاتها عند انشاء الكورنيشات.. كما أن استخدام مشروع توليد الطاقة الكهربائية بالغاز سيسهل الكثير من الصعوبات في الاستثمار السياحي في تلك الشواطئ حتى رأس العارة، تركت فقم، وعبر مدينة صلاح الدين التي لاتزال فيها الكنيسة المسيحية التي تأكد مدى تسامح الديني لدى اليمنيين بشكل خاص والعرب بشكل عام..

ورغم ترك شواطئ البريقة الجميلة الا أنني مازلت اسير على صفحة الماء صباحاً ومساءً.

■ لقطة أخرى لشاطئ رأس عمران.

■ لقطة في بوابة رأس عمران وفي الأخيرة تظهر جزيرة عزيز.

■ شاطئ مطل على جزيرة عزيز المشهورة بقرية السلاحف.

■ شاطئ فقم.

■ لقطة لشاطئ رأس عمران.